

حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين

هيا بنت إسماعيل بن عبدالعزيز آل الشيخ

أستاذ مساعد، قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود،
الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في 1424/11/22هـ، وقبل للنشر في 1425/3/28هـ)

ملخص البحث. إن الناس في حقيقة الإيمان قد يماً وحديثاً على ثلاثة مذاهب؛ وسط وطر في نقيض. الوسط: هم أهل السنة والجماعة الذين أيقنوا أن الإيمان حقيقة مركبة من ثلاثة أركان وهي اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. (ولهذا لا يكفرون بكل ذنب ولا يمنعون التكفير منعاً باتاً). أما طرفي النقيض فيمثل الخوارج والمعتزلة من ناحية والمرجئة من ناحية أخرى، أما الخوارج والمعتزلة: فقد اتفقوا مع أهل السنة والجماعة على أن الإيمان حقيقة مركبة من اعتقاد وقول وعمل ولكنهم خالفوا بقولهم: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولهذا كفر الخوارج عصاة الموحدين في الدنيا وخذلوا في النار في الآخرة. أما المعتزلة فقالوا: إنهم في منزلة بين المنزلتين في الدنيا ولكنهم اتفقوا مع الخوارج على تخليدهم في النار في الآخرة. أما الطرف النقيض الآخر فهم المرجئة وهم ثلاثة أصناف الجهميه - الكرامية: مرجئة الفقهاء. أما الجهميه: فقد زعموا أن الإيمان مجرد معرفة قلبيه فقط، ولهذا كفرهم السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد.

وأما الإيمان عند الكرامية: فهو الإقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ومن المعلوم بالضروره أن من قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب منافق. أما مرجئة الفقهاء: فمنهم من عرف الإيمان بأنه تصديق القلب وقول اللسان ومنهم من عرفه بأنه التصديق فقط ومع أنهم لم يتفقوا مع من قال بأن الإيمان هو المعرفة إلا أن في قولهم تشجيع للفساق على اجترار السيئات.

وبعد فإن الناس في معنى الإيمان قديماً وحديثاً ثلاثة مذاهب وسط وطرفاً نقيض، الوسط هم أهل السنة والجماعة الذين قالوا: الإيمان حقيقة مركبة من ثلاثة أركان وهي: اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ ولهذا أحسنوا الظن بأهل القبلة الموحدين فلم يكفروا بكل ذنب ولا يمنعون التكفير متعاً تاماً، بل نجدهم يخطئون من ارتكب ذنباً ولا يكفرون إلا من تعاطى أسباب الكفر.

ويمثل طرفي النقيض الخوارج والمعتزلة من ناحية؛ والمرجئة من ناحية أخرى، أما الخوارج والمعتزلة: فقد كان سبب ضلالهم في حقيقة الإيمان هو أخذهم بنصوص الوعيد وتركهم نصوص الوعد، ولهذا جعلوا الإيمان كل لا يتجزأ إذا زال بعضه زال جميعه فنتج عن هذا المذهب تكفير مرتكب الكبيرة عند الخوارج. أما المعتزلة: فقالوا: إنه في منزله بين المنزلتين في الدنيا ولكنهم اتفقوا مع الخوارج في تخليده في النار.

أما المرجئة: فقد كان سبب ضلالهم في حقيقة الإيمان هو أخذهم بنصوص الوعد وتركهم نصوص الوعيد، ولهذا جعلوا الإيمان شيئاً واحداً لا يتفاضل وأهله فيه سواء وهو التصديق بالقلب مجرداً عن أعمال القلب والجوارح وقد نتج عن مذهبهم الضال حصر الكفر بكفر الجحود والتكذيب المسمى: كفر الاستحلال، ولذا فهذا البحث يتكلم عن حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين.

أولاً: بعضاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ورد ذكر الإسلام والإيمان

مجتمعاً فيها

- 1- قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾
- 2- قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾
- 3- قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾
- 4- قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه (اللهم لك أسلمت وبك آمنت)²⁶.

ثانياً: بعضاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر كل

من الإسلام والإيمان منفرداً عن الآخر

- 1- بعضاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر الإسلام منفرداً عن الإيمان.
- قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾

23 سورة الأحزاب : 35.
 24 سورة الذاريات : 35-36.
 25 سورة الحجرات : 14.
 26 رواه البخاري في كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعود من شر ما عمل.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَ كَفَرَ لِقَوْمِي وَهُمْ يُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة: 175] .²⁸
 قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَ كَفَرَ لِقَوْمِي وَهُمْ يُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة: 175] .²⁹
 قوله صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)³⁰.

قوله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس.....)³¹.
 2- بعضاً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر الإيمان وحده.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَ كَفَرَ لِقَوْمِي وَهُمْ يُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة: 175] .³²
 قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَ كَفَرَ لِقَوْمِي وَهُمْ يُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة: 175] .³³
 قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَ كَفَرَ لِقَوْمِي وَهُمْ يُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة: 175] .

27 سورة آل عمران : 19.
 28 سورة آل عمران : 85.
 29 سورة آل عمران : 83.
 30 رواه البخاري ، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، مسلم كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام.
 31 رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقوله النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس، مسلم ، كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه.
 32 سورة المائدة : 61.
 33 سورة البقرة : 183.

القلب والأصل فيه التصديق، والعمل تابع له، فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بإيمان القلب وبخضوعه وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وفسر الإسلام باستسلام مخصوص هو المباني الخمسة، وهكذا في سائر كلامه صلى الله عليه وسلم يفسر الإيمان بذلك النوع، ويفسر الإسلام بهذا وذلك النوع أعلى³⁸.

ويقول ابن كثير عند تفسيره آية الحجرات: ﴿

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالسُّكُوتُ وَالنَّهْوُ وَالنُّجُودُ وَالْأَعْيُنُ وَالْأَرْبَابُ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ يُخَوِّفُ مَنِ اسْتَكْبَرَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالسُّكُوتُ وَالنَّهْوُ وَالنُّجُودُ وَالْأَعْيُنُ وَالْأَرْبَابُ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ يُخَوِّفُ مَنِ اسْتَكْبَرَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالسُّكُوتُ وَالنَّهْوُ وَالنُّجُودُ وَالْأَعْيُنُ وَالْأَرْبَابُ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ يُخَوِّفُ مَنِ اسْتَكْبَرَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالسُّكُوتُ وَالنَّهْوُ وَالنُّجُودُ وَالْأَعْيُنُ وَالْأَرْبَابُ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ يُخَوِّفُ مَنِ اسْتَكْبَرَ﴾

﴿وقد استفيد من هذه الآية الكريمة³⁹ أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان فترقى من الأعم إلى الأخص⁴⁰.

ثانياً: فريق آخر من علماء المسلمين قالوا: إن الإيمان والإسلام مترادفان أي شيء

واحد منهم

أصحاب الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة والإمام مالك وبه قال

الأشاعرة والماتريديّة.⁴¹

38 الإيمان: ص 225-226.

39 سورة الحجرات: 14.

40 تفسير القرآن العظيم 220/4.

41 أنظر: الفقه الأكبر لأبي حنيفة، ص 80 شرح ملا علي القاري، مطبعة التقدم، مصر، 1323هـ، الفصل من الملل والأهواء والنحل، لابن حزم 109/3، مكتبة دار السلام العالمية، القاهرة، بدون، معالم أصول الدين للرازي، ص 129، الأزهرية،

الخليان محمد وإبراهيم صلوات الله عليهما وسلامه، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علماً، ومعرفة، وحالاً ودعوة للخلق وجهاداً⁵⁰.

العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان عند الاجتماع والافتراق:

هذه العلاقة يقررها ابن رجب في هذه المسألة حيث قال: (إن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره، صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال عليها باقياً... فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قورن بينهما دل أحدهما على ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي)⁵¹.

لفظ الإسلام لغة: الانقياد والإذعان.

أما في الشرع فلا إطلاقه حالتان: 52

الحالة الأولى: أن يطلق على الأفراد، غير مقترن بذكر الإيمان، فهو حينئذ يشمل الدين كله.

قال تعالى: ﴿...﴾⁵³
 ﴿...﴾⁵⁴
 وقال: ﴿...﴾⁵⁴

50 شرح العقيدة الطحاوية 101/1.

51 جامع العلوم والحكم ص 39.

52 قال الراغب الأصفهاني: (الإسلام في الشرع على ضربين: أحدهما: دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدم، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل، وإياه قصد تعالى بقوله: (قالت الأعراب أمانا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا). والثاني: فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضي وقدر) المفردات ص 423.

53 آل عمران: 19.

54 المائدة: 3.

الله عليه وسلم لو فد عبدالقيس: (أمركم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده...) 61 الحديث.

الحالة الثانية: أن يطلق مقروناً بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة، كقوله تعالى: ﴿...﴾ 60 وقول النبي صلى الله عليه وسلم لو فد عبدالقيس: (أمركم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده...) 61 الحديث.

الفصل الأول: حقيقة الإيمان

المبحث الأول: حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة

إن حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة هي التصديق بالقلب، والقول باللسان، والعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. لقوله تعالى: ﴿...﴾ 62

60 سورة البقرة: 177.
61 رواه البخاري - كتاب الإيمان - باب أداء الخمس في الإيمان، ومسلم - كتاب الإيمان - باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله... الخ.
62 سورة النساء: 57.
63 فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني 141/1، تصحيح: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: دار الريان للتراث، 1407.

وقال تعالى: ﴿...﴾⁷¹. وقال تعالى: ﴿...﴾⁷².

وقال صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)⁷³. وقال النووي: (إن الطاعة تسمى إيماناً ودينياً، وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومن نقصت عبادته نقص دينه)⁷⁴. هذه عقيدة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين في حقيقة الإيمان صافية نقية على المحجة البيضاء ليلها كنهارها كما جاء به خير البشرية محمد صلى الله عليه وسلم لا يحيد عنها إلا هالك.

المبحث الثاني : حقيقة الإيمان عند (الخوارج والمعتزلة) والرد عليهم

حقيقته عند الوعيدية

(الخوارج والمعتزلة) وهؤلاء اتفقوا مع أهل السنة والجماعة على أن الإيمان حقيقة مركبة من اعتقاد وقول وعمل، ولكنهم خالفوهم بقولهم: إن الإيمان لا يتجزأ ولا يتبعض أي لا يزيد ولا ينقص، فمتى ذهب بعضه ارتكاب شيء من المعاصي ذهب كله ومن ثم قالت الخوارج بكفر من ارتكب معصية، وقالت المعتزلة: لا نسميه مؤمناً ولا كافراً، بل هو في

71 سورة الأنفال:2.

72 سورة الفتح:4.

73 رواه مسلم في كتاب الإيمان – باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان – الترمذي كتاب الفتن- باب (11)، النسائي – كتاب الإيمان – باب تفاضل أهل الإيمان – الإمام أحمد في مسنده 20/3.

74 شرح صحيح مسلم 68/2 – ط 1 دار الفكر، لبنان، د.ت.

منزلة بينهما، ولكنهم اتفقوا على تخليده في النار⁷⁵، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فكان من أول البدع والتطرف الذي وقع في هذه الأمة "بدعة الخوارج" المكفرة بالذنب، فإنهم تكلموا في الفاسق الملي، فزعمت الخوارج والمعتزلة أن الذنوب الكبيرة ومنهم من قال: والصغيرة لا تجامع الإيمان أبداً، بل تنافيه وتفسده كما يفسد الأكل والشرب الصيام، قالوا: لأن الإيمان هو فعل المأمور وترك المحذور فمتى بطل بعضه بطل كله كسائر المركبات ثم قالت الخوارج: فيكون العاصي كافراً لأنه ليس إلا مؤمن وكافر،... وقالت المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين قد يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر)⁷⁶ وقال في موضع آخر (المعتزلة والخوارج يقولون بتحليل العصاة)⁷⁷.

بعضاً من حجج الخوارج والمعتزلة على تكفير عصاة الموحدين:

استدلَّت هاتين الفرقتين على تكفير عصاة الموحدين وخلودهم في النار إما بنصوص نزلت في الكفار أو الأخذ بآيات الوعيد وترك آيات الوعد ومن أمثلة ذلك:

1- قوله تعالى: ﴿...﴾⁷⁸ قالوا: إنه لا أمل للعاصي الذي يموت على معصيته في رحمة الله.⁷⁹

75 أنظر: الملل والنحل - الشهرستاني 114/1 - تحقيق/ محمد سيد كيلاني - المعرفة، بيروت، د.ت. كذلك الفصل لابن حزم 188/3، ط2 دار المعرفة، 1395هـ.

76 مجموع الفتاوى، 470/12-471.

77 المرجع السابق 159/7.

78 سورة البقرة: 81.

79 أنظر: الإباضية في موكب التاريخ - علي يحيى معمر 132/1 مكتبة وهبة، القاهرة، وانظر: شرح الأصول الخمسة - القاضي عبدالجبار، ص 678.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (من قتل نفسه بحديده فحديده في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً فيها)⁹¹ إلى غير ذلك.⁹² ثم قالوا: وليس ذلك بأولى مما أوردناه، فيجب إطراحها جميعاً أو حمل أحدهما على الآخر، فنحمله على ما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله، ونقول المراد به شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي إذا تابوا؛ لأن ما استحق التائب من الثواب قد انحبط بارتكابه الكبيرة.⁹³ وهكذا أبطلوا شفاععة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته، اعتقاداً منهم أنه إذا وعد عبده فلا يجوز عليه أن يخلف وعده ووعيده، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، فالإيمان عندهم كما تقدم كل لا يتجزأ ولا يتبعض أي لا يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وإنما إذا ذهب بعضه ذهب كله؛ ولهذا وغيره خالفوا أهل السنة والجماعة الذين اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفوفاً يخرج عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج كما أنهم اتفقوا على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود في النار مع الكافرين كما قالت المعتزلة⁹⁴، لعلمهم أن المعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان⁹⁵، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرأ الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمناً حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقته)⁹⁶.

91 أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجنائز - باب ما جاء في قاتل النفس - مسلم في كتاب الإيمان - باب غلط تحريم قتل الإنسان نفسه - الدارمي في كتاب الديات - باب التشديد على من قتل نفسه.

92 انظر: شرح الأصول الخمسة، ص 673، 691. وانظر: الحق الدامع، ص 225.

93 انظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار ص 691. وانظر: الحق الدامع، ص 225.

94 انظر: شرح العقيدة الطحاوية 422/2.

95 انظر: الصلاة وحكم تاركها - ابن قيم الجوزية، ص 53، بيروت: دار الكتب العلمية، 1402 هـ.

96 اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، 208/1 - تحقيق: د. ناصر العقل، 1404 هـ.

كما أنه رحمه الله بين أصل الإيمان في موضع آخر فقال: (أصل الإيمان هو الإقرار بما جاءت به الرسل عن الله تصديقاً وانقياداً له؛ فهذا أصل الإيمان الذي لم يأت به فليس بمؤمن... فعلم أن الإيمان يقبل التبعية والتجزئة، وأن قليله يخرج الله به من النار من دخلها...) 97 ولهذا وغيره فإن رد أهل السنة والجماعة على الخوارج والمعتزلة كالتالي:

أولاً: رد أهل السنة والجماعة على الخوارج الذين كفروا عصاة الموحدين

إن نصوص الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على عدم زوال الإيمان بالكلية عن مرتكب الكبيرة، والحكم عليه بالكفر فمن الآيات المصرحة بإيمان العصاة مرتكبي الكبائر قوله تعالى: ﴿

﴿...﴾ 98، فخاطب الجميع باسم الإيمان مع أن فيهم من قد وجب عليه

القصاص، لارتكابه كبيرة القتل: ﴿

﴿...﴾ وأثبت الأخوة بين القاتل وبين ولي دم المقتول، فقال: ﴿

﴿...﴾ ولا شك أن المراد بالأخوة أخوة إيمان المذكورة في قوله تعالى: ﴿

﴿...﴾ بل يقام عليه الحد، فدل ذلك على أن مرتكب

97 مجموع الفتاوى، 474/12 - 475.

98 سورة البقرة: 178.

2- المقتصد: وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات.

3 - سابق بالخيرات بإذن الله: وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.¹⁰⁴

هكذا، نجد أن أسلاف الخوارج كانوا أعراباً، قرأوا القرآن دون التفقه في السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء لا من أصحاب ابن مسعود، ولا أصحاب علي ولا أصحاب عائشة... ولهذا نجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نزلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارهم، فظهر ضعف القوم، وقوة جهلهم.¹⁰⁵

ولهذا: لما أدرك علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطأ منهج الخوارج في فهم القرآن الكريم، وعدم اهتمامهم بالسنة التي تبين نصوصه. عدل عن مناقشتهم والاحتجاج عليهم بنصوص الكتاب والسنة إلى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن عمله صلى الله عليه وسلم هو النموذج الحي لكتاب الله - فبين لهم أن الخطأ في العمل لا يقتضي الكفر، فقد رجم صلى الله عليه وسلم الزاني المحصن ثم صلى عليه وورثه أهله، وقتل القاتل، وورث ميراثه أهله، وقطع يد السارق، وجلد الزاني غير المحصن، ثم قسم لهما من الفيء، ونكح المسلمات، وهكذا نرى أنه صلى الله عليه وسلم أقام الحدود على من ارتكب ذنباً فيه حد بموجب الشريعة، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام، ولم يخرج أسماءهم من بين أهلبيهم، ولذا لم يقدروا عن الإجابة بل لجأوا إلى الظواهر التي ألفتها عقولهم السخيفة¹⁰⁶.

ثانياً: رد أهل السنة والجماعة على قول الخوارج والمعتزلة: إن عصاة الموحدين في

النار خالد بن

104 انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 337/13 - تفسير ابن كثير 555/3 - 556.

105 انظر: الفصل لابن حزم 237/4.

106 انظر: أهم الفرق الإسلامية - محمد الطاهر التيفرص 61 - الشركة التونسية للتوزيع.

شيء واحد، وهو العلم أو تكذيب القلب وتصديقه، ولم يكف الجهمية أن جعلوا كل كافر جاهلاً بالحق بل قالوا هو لا يعرف أن الله موجود¹¹⁷.

وهؤلاء غلطوا في أصليين عظيمين:

أحدهما: ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية قلب.

الثاني: ظنهم أن كل من حكم الشارع بكفره وتخليده في النار فإن ذاك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق، وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة¹¹⁸.

ولهذا كفر السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد من يقول بهذا القول للأسباب التالية:

1- إن إبليس كافر بنص القرآن لا لكونه كذب خيراً، وإنما لاستبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين¹¹⁹.

2- كذلك كفر فرعون وقومه الذي كان من أكبر خلق الله عناداً وبغياً كان لفساد إرادته وقصده لا لعدم علمه؛ لقوله تعالى: على لسان نبيه موسى لفرعون: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر...﴾

﴿120 فدللت الآية على أن فرعون كان عالماً بأن ما جاء به موسى من تسع آيات بينات أنها من عند الله تعالى ولهذا قال تعالى: ﴿

﴿121﴾

﴿121﴾

3- كذلك اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿

﴿122﴾

﴿122﴾

117 انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 189/7، 193.

118 انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، 190/7، 191.

119 انظر: الملل والنحل - للشهرستاني 16/1، فتاوى: 189/7، شرح العقيدة

الطحاوية لابن أبي العز الحنفي 2: 52.

120 سورة الإسراء: 17.

121 سورة النمل: 14.

﴿ ١٣١ ﴾ أي الصادقون في قولهم آمنا بالله.

أما من قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب منافق وهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿

﴿ ١٣٢ ﴾ والقرآن الكريم فيه كثير من هذا يصف المؤمنين بالصدق والمنافقين بالكذب، لأن الطائفتين قالتا بألسنتهما آمنا؛ فمن حقق قوله بعمله فهو مؤمن صادق، ومن قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب منافق. قال تعالى: ﴿

﴿ ١٣٣ ﴾ وقد نكر الله المنافقين في ثلاث عشر آية في سورة البقرة فقط وبين عدم الإيمان لهم وأنهم يخادعون الله، وأنهم مرضى القلوب، مفسدون سفهاء... الخ، فإذا كان هذا قول الله تعالى فيهم فكيف يحكم بإيمانهم. ﴿

131 سورة الحجرات : 15.
 132 سورة البقرة : 8-9-10 .
 133 سورة آل عمران : 166-167.
 134 أنظر فتاوى 182:7 كذلك العقائد بأدلتها العقلية والعقلية – أحمد بن حجر آل أبو طامي 421/1 ط1، 1415، قطر.

أما تفرقتهم بين الأحكام الدنيوية والأخروية فهذه لا تجدي شيئاً فكيف نحكم لهم بالإيمان ثم نقول: إنهم مخلدون في النار؟¹³⁵.

ثالثاً : مرجئة الفقهاء ومن تبعهم

مرجئة الفقهاء ومن تبعهم من كلابية وأشعرية وما تريدية الذين قالوا: إن الإيمان يشمل ركنين فقط هما تصديق القلب وإقرار اللسان. قال الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله: (الإيمان هو الإقرار والتصديق)¹³⁶. وقال شارح الطحاوية: (ذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي: أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجان)¹³⁷.

وقال أبو الحسن الأشعري: والفرقة التاسعة من المرجئة (أبو حنيفة وأصحابه، يزعمون أن الإيمان المعرفة بالله والإقرار بالله، والمعرفة بالرسول والإقرار بما جاء من عند الله في الجملة دون التفسير)¹³⁸.

ومن الجدير بالذكر أن أبا الحسن الأشعري له قولان في معنى الإيمان ففي كتابه اللمع عرف الإيمان بأنه التصديق¹³⁹. وفي مقالات الإسلاميين: عرفه بأنه قول وعمل¹⁴⁰. بل إنه في كتاب الإبانة عرفه بأنه (قول وعمل يزيد وينقص)¹⁴¹ وفي هذا دلالة واضحة على رجوعه إلى مذهب السلف خاصة وأن كتاب الإبانة من الكتب التي ألفها في آخر حياته.

أما أصحاب الأشعري فقد عرفوا الإيمان بأنه التصديق يوضح ذلك قول الباقلاني: (الإيمان هو التصديق بالله تعالى، وهو العلم والتصديق يوجد في القلب)¹⁴².

135 المرجع السابق 421/1.

136 الفقه الأكبر، الإمام أبو حنيفة مع شرحه للقاري ص 304 ط دائرة الكتب العلمية، 1399هـ.

137 شرح العقيدة الطحاوية 459/2.

138 مقالات الإسلاميين 219/2-221.

139 أنظر: اللمع ص 154.

140 أنظر: مقالات الإسلاميين 154/1.

141 الإبانة عن أصول الديانة، ص 27، 2، 1405، الجامعة الإسلامية.

142 التمهيد- الباقلاني ص 389 - تحقيق: عماد الدين أحمد بن حيدر، ط1، 1407هـ، مؤسسة الكتب الثقافية.

يقول الجويني في كتابه الإرشاد: (المرضى عندنا أن حقيقة الإيمان التصديق بالله فالمؤمن بالله من صدقه)¹⁴³.
 أما في كتابة العقيدة النظامية فيقول: (والمؤمن على التحقيق: من أنطوى عقداً على المعرفة بصدق من أخبر عن صانع العالم، وصفاته وأنبائه، فإن اعترف بلسانه ما عرف بجنانه فهو مؤمن ظاهراً وباطناً، وإن لم يعترف بلسانه معانداً لم ينفعه علم قلبه)¹⁴⁴.
 كذلك الماتريديّة اتفقوا مع أصحاب أبي الحسن الأشعري على أن الإيمان هو التصديق بالقلب وزاد بعضهم إلى أنه التصديق بالقلب والإقرار باللسان.¹⁴⁵

وهكذا اتضح لنا مما سبق أن هذا الصنف من المرجئة منهم من فسر الإيمان بأنه تصديق القلب وقول اللسان، ومنهم من عرفه بأنه التصديق فقط، ومع أنهم لم يتفقوا مع من قال بأن الإيمان هو المعرفة إلا أن في قولهم تقوية لمذهب من قال بذلك وتشجيع للفساق على اجتراح السيئات والمعاصي.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والمرجئة الذين قالوا: الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان، والأعمال ليست منه كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها، ولم يكن قولهم مثل قول جهم، فعرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمناً إن لم يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه، وعرفوا أن إبليس وفرعون وغيرهما هما كفار مع تصديق قلوبهم، لكنهم إذا لم يدخلوا أعمال

143 الإرشاد ص 333 - تحقيق: أسعد تميم ، ط1، 1405، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

144 العقيدة النظامية، ص 85 تحقيق د: أحمد حجازي السقا، ط 1، 1398هـ، مكتبة الكليات الأزهرية.

145 انظري: التوحيد للماتريدي، ص 373-379 حقهه وقدم له د/ فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، كذلك تبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي 800/1-804 تحقيق: كلود سلامة، ط 1، 1990. شرح العقائد النسفية. سعد الدين التتازاني، ص 56-59 تحقيق: كلود سلامة، ط 1، د.ت.

﴿152﴾ قالوا: إن الله تعالى خاطب باسم الإيمان، ثم أوجب الأعمال على العباد وفي هذا دليل على قصر اسم الإيمان على التصديق¹⁵³. حسب اعتقادهم.

موقف أهل السنة والجماعة مما استدل به المرجئة على خروج الأعمال من الإيمان

بين أهل السنة والجماعة أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها، وما أريد بها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم، لم نحتاج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة وغيرهم... فاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك قد بين صلى الله عليه وسلم ما يراد بها في كلام الله ورسوله، وكذلك الخمر وغيرها، فلو أراد أحد أن يفسرها، بغير ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه... واسم الإيمان والإسلام والنفاق والكفر، هي أعظم من هذا كله وقد بينها صلى الله عليه وسلم بياناً لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك، بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب، ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله، فإنه شاف كاف... وأهل البدع إنما دخل عليهم الداخل، لأنهم أعرضوا عن هذه الطريق، وصاروا يبنون دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها، إما في دلالة الألفاظ، وإما في المعاني المعقولة، ولا يتأملون بيان الله ورسوله، وكل مقدمات تخالف بيان الله ورسوله فإنها تكون ضلالاً¹⁵⁴ ولهذا فإن الرد علناحتجاج هؤلاء المرجئة ومن وافقهم، ألا هو إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن هو التصديق، على النحو التالي:

1- إن أهل اللغة إن قصد بهم المتكلمون باللغة قبل الإسلام فهؤلاء لم نشهدهم، ولا نقل لنا أحد عنهم أن الإيمان عندهم قبل نزول القرآن هو التصديق، وإن قصد بهم نقلتها كأبي عمرو والأصمعي والخليل، فهؤلاء لا

152 سورة البقرة : 183.

153 انظر: الموافق للإحيي ص 385 كذلك إتحاف المرید بجوهرة التوحيد، عبدالسلام بن إبراهيم اللقاني، ص 55-56 - تحقيق: محمد محيي الدين، ط 2، 1411هـ، 1990م، دار القلم ، حلب، كذلك التوحيد: للماتريدي، ص 378.

154 انظر: الإيمان: لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 271، 273.

ينقلون كل ما كان قبل الإسلام بإسناد، وما نقلوه بإسناد هو ما سمعوه من العرب في زمانهم، أو ما سمعوه في دواوين الشعر وكلام العرب، بل إن بعضهم يذهب إلى أن الإيمان في اللغة: مأخوذ من الأمن الذي هو ضد الخوف والبعض الآخر يذهب إلى أنه بمعنى الإقرار وغيره، فمن أين يعلم هذا الإجماع.¹⁵⁵

2- لو قدر أنهم نقلوا كلاماً عن العرب يفهم منه أن الإيمان هو التصديق، فليس ذلك بأبلغ من نقل المسلمين كافة لمعاني القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم، فاسم الإيمان قد تكرر ذكره في القرآن والحديث، أكثر من ذكر سائر الألفاظ، وهو أصل الدين، ومعلوم أن الشاهد الذي استشهدوا به على أن الإيمان: هو التصديق من القرآن، ونقل معنى الإيمان متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من تواتر لفظ الكلمة.¹⁵⁶

3- إنه لو قدر أن الإيمان في اللغة التصديق، فمعلوم أنه ليس التصديق بكل شيء، بل بشيء مخصوص، وهو ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، وحينئذ يكون الإيمان في كلام الشارع، أخص من الإيمان في اللغة، ومعلوم أن الخاص ينضم إليه قيود لا توجد في جميع العام كقول اللسان، وعمل القلب والجوارح، فيكون الإيمان في كلام الشارع مؤلفاً من العام والخاص.¹⁵⁷

4- لأن لفظ التصديق يستعمل في كل خبر. فيقال: لمن أخبر بالأمر المشهورة مثل الواحد نصف الاثنين، والسماء من فوقنا: صدقت وصدقنا بذلك، فيتعدى بنفسه إلى المصدق، ولا يقال آمنا لك ولا آمنا بهذا إلا في المخبر به من الأمور الغائبة، فلفظ الإيمان لا يستعمل إلا في الخبر عن غائب؛ لأن الإيمان مشتق من الأمن، فاستعماله في خبر يؤتمن عليه المخبر، كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر، ومن ثم يقال للمخبر آمنا لك، وللمخبر به آمنا به¹⁵⁸. ولهذا لم يوجد في القرآن وغيره لفظ (آمن له) إلا في هذا النوع، فاللفظ متضمن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة، كما

155 انظر : المرجع السابق، ص 117، 118، 278.

156 انظر : المرجع السابق، 118، 274.

157 انظر : المرجع السابق ص 121.

158 فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 529/7، 530.

يدل عليه الاستعمال والاشتقاق؛ ولهذا قال أخوة يوسف: «وما أنت بمؤمن لنا»¹⁵⁹، لأنهم أخبروه عن غائب، ولم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك حتى لو صدقوا¹⁶⁰.

5- إن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب، كلفظ التصديق، فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت أو كذبت، ويقال: صدقناه أو كذبناه، ولا يقال له: أماناً له أو أنت مؤمن له، أو مكذب له بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، ومن المعلوم أن الكفر ليس هو التكذيب فقط بل مخالفة ومعادة، وامتناعاً عن طاعة المخبر، فلا بد أن يكون الإيمان تصديقاً مع موافقة وموالاتة وانقياداً حيث لا يكفي مجرد التصديق¹⁶¹.

أما ما استدلوا به من الآيات على أن الأعمال ليست من مسمى الإيمان، لأنه ورد في القرآن عطف الأعمال على الإيمان؛ في مواضع كثيرة منها: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾¹⁶² فمن المعلوم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما والمغايرة على مراتب أعلاها:

1- أن يكونا متباينين، وليس أحدهما هو الآخر، ولا جزء منه ولا

بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

وهذا هو الغالب.

2- يليه أن يكون بينهما تلازم كقوله تعالى: ﴿

﴿

﴿

159 سورة يوسف: 17.

160 انظر: الإيمان: لابن تيمية ص 276، 277.

161 انظر: المرجع السابق، ص 277.

162 سورة البقرة: 238.

163 سورة الأنعام: 1.

164 سورة آل عمران: 2.

قال تعالى: ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾¹⁷¹

ولهذا لم يجيء ذكر الحج في أكثر الأحاديث التي فيها ذكر الإسلام والإيمان، كحديث وفد عبدالقيس... وذلك لأن الحج آخر ما فرض من الخمس، فكان قبل فرضه لا يدخل في الإيمان والإسلام، فلما فرض أدخله النبي صلى الله عليه وسلم في الإيمان إذا أفرد، وأدخله في الإسلام إذا قرن بالإيمان وإذا أفرد¹⁷² ولهذا لما ألزم المرجئة من الأشاعرة وغيرهم الذين قالوا: إن الإيمان هو التصديق بالقلب بعدم الفرق بين مذهبهم، وبين مذهب الجهم بن صفوان الذي كان الإيمان عنده هو المعرفة، وأن لازم قولهم كلازم قوله، فقد كان لازم قوله إن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، لأنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما السلام، ولم يؤمنوا بهما؛ ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿...﴾

﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾¹⁷³

وقال تعالى: ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾¹⁷⁴ وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم، كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كانوا كافرين به معاندين له، بل أبلّيس يكون عندهم مؤمناً كامل الإيمان فإنه لم يجهل ربه، بل كان عارف¹⁷⁵. فلما أفتحوا وتيقنوا أن لازم مذهبهم أن يكون إيمان المنهمك في فسقه كإيمان النبي صلى الله عليه وسلم، أجابوا إجابة في

171 سورة آل عمران : 97.

172 فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 198/7.

173 سورة الإسراء: 102.

174 سورة النحل : 14.

175 أنظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 151/7 وما بعدها؛ شرح الطحاوية 52/2.

غاية الفساد فقالوا: (النبي صلى الله عليه وسلم يفضل من عداه باستمرار تصديقه)، وعصمة الله إياه من مخامرة الشكوك واختلاج الريب، والتصديق عرض لا يبقى، وهذا متوال للنبي صلى الله عليه وسلم، ثابت لغيره في بعض الأوقات زائل عنه في أوقات وفترات، فيثبت للنبي صلى الله عليه وسلم أعداد التصديق لا يثبت لغيره إلا بعضها، فيكون إيمانه بذلك أكثر¹⁷⁶ فالنبي صلى الله عليه وسلم حسب ما زعموا: إنما يفضل غيره في الإيمان باستمرار تصديقه وعصمته من الشكوك فقط، وليس ببلوغه الغاية في التصديق واليقين والأعمال التي هي من الإيمان ويحصل فيها التفاوت بين الأمة¹⁷⁷، بل إن منهم من فرق بين التصديق واليقين الذي يتعذر الفرق بينهما، فاليقين هو التصديق، والتصديق من الإيمان ولا بد من عمل القلب، مثل حب الله ورسوله وخشية الله، وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، وتوكل القلب على الله وحده، وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله، وجعلها من الإيمان والتصديق الذي لا يكون معه شيء من ذلك ليس إيماناً البته، بل هو كتصديق فرعون، واليهود وإبليس، وهذا ما أنكره السلف على الجهمية¹⁷⁸ والقرآن ليس فيه ذكر إيمان مطلق غير مفسر، بل إن لفظ الإيمان فيه إما مقيد، وإما مطلق مفسر، فالمقيد كقوله تعالى: ﴿...﴾¹⁷⁹ وقوله: ﴿...﴾¹⁸⁰ والمطلق المفسر كقوله تعالى: ﴿...﴾¹⁸¹ وقوله تعالى: ﴿...﴾

176 الإرشاد: للجويني ص 399-400.

177 انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 153/7.

178 أنظر: الإيمان: لابن تيمية 176، 292.

179 سورة البقرة: 3.

180 سورة يونس: 83.

181 سورة الأنفال: 1.

فكل إيمان مطلق في القرآن، فقد بين تعالى فيه أن لا يكون الرجل مؤمناً إلا بالعمل مع التصديق¹⁸³، وبهذا وغيره يعلم فساد قولهم: من أن الإيمان هو التصديق وأنه لا يزيد ولا ينقص وفساد تأويلاتهم للنصوص الشرعية، وأن الصواب ما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من أن الإيمان قول وعمل واعتقاد وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

الفصل الثاني: العبادة وعلاقتها بالإيمان

اتضح لنا في مباحث الفصل الأول من هذا البحث أن من خالف أهل السنة والجماعة في حقيقة الإيمان كانوا على طرفي نقيض فالخوارج غلبوا جانب الخوف من الله على جانب الرجاء منه فكانت حقيقته عندهم أنه كل لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله، وعلى العكس المرجئة الذين غلبوا جانب الرجاء على جانب الخوف ولهذا أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان، أما أهل السنة والجماعة فكانوا وسط في ذلك يخافون عقابه ويرجون رحمته، لعلمهم أن للعبادة ركائز تركز عليها ولهذا سأتكلم في هذا الفصل عن العبادة وعلاقتها بالإيمان.

المبحث الأول: معنى العبادة لغة وشرعاً

العبادة لغة

أصل العبادة مأخوذ من الفعل عبد، ويعني الخضوع والتذلل والانقياد. يقال طريق معبد: أي مذل للسير عليه بسهولة، كما يقال بغير معبد: مذل للركوب. والعبادة: الطاعة والتعبد: التنسك، والعبودية: الخضوع والذل:

182 سورة الحجرات : 15.
183 الإيمان: لابن تيمية 121 - 122.

يقال عبد عبادة وعبودية بمعنى أطاع وخضع وانقاد وذل¹⁸⁴، والعبادة لله وحده لا شريك له، لقوله تعالى: ﴿...﴾

العبادة شرعاً

ورد في معناها شرعاً تعاريف كثيرة أهمها:

1- تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية: (العبادة الأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى المحبة، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة لله)¹⁸⁶. وقد أكد هذا المعنى تلميذه ابن قيم الجوزية حيث قال: العبادة تجمع أصليين: (غاية الحب بغاية الذل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابداً له، حتى تكون محباً خاضعاً)¹⁸⁷.

أما الحافظ ابن كثير فقد أضاف إلى الأصليين السابقين أصلاً ثالثاً عند تفسيره قوله تعالى: ﴿...﴾¹⁸⁸ فقال: (وفي الشرع العبادة عبارة عن ما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف)¹⁸⁹.

ولهذا فالعبادة: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)¹⁹⁰، بل إن هذه الأعمال الظاهرة والباطنة لا

184 انظر لسان العرب لابن منظور، 264/4.

185 سورة النحل: 36.

186 العبودية - شيخ الإسلام ابن تيمية، ص 9، مكتبة المدني، جدة 1398هـ.

187 مدارج السالكين - لابن قيم الجوزية 63/1 تحقيق أحمد فخري وعصام فارس، دار الجيل، بيروت، د. ت.

188 سورة الفاتحة: 5.

189 تفسير ابن كثير: 25/1.

190 العبودية- لابن تيمية، ص 5.

تكون عبادة إلا إذا أكمل فيها شيئان وهما كمال الحب مع كمال الذل¹⁹¹،
 لقوله تعالى: ﴿...﴾
 وقوله
 تعالى: ﴿...﴾
 وقد جمع الله بين ذلك في قوله: ﴿...﴾¹⁹³
 جمع الله بين ذلك في قوله: ﴿...﴾¹⁹⁴

البحث الثاني: في بيان ركائز العبودية الصحيحة

إن لعبادة الله وحده لا شريك له ركائز ترتكز عليها وهي: الحب والخوف والرجاء، فالحب مع الذل، والخوف مع الرجاء ولا بد أن تجتمع هذه الركائز في العبادة.

أما بالنسبة للحب: (فأصل العبادة محبة الله، بل إفراده بالمحبة فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونه كحبه)¹⁹⁵ لقوله تعالى: ﴿...﴾

﴿...﴾¹⁹⁶

191 أعلام السنة المنشورة - الشيخ حافظ الحكمي، ص 6.

192 سورة البقرة: 165.

193 سورة المؤمنون: 57.

194 سورة الأنبياء: 90.

195 مدارج السالكين - لابن قيم الجوزية 124/1 تحقيق أحمد فخري، وعصام فارس، دار الجيل، بيروت، د.ت.

196 سورة البقرة: 165.

ولهذا قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: (الذل والانكسار والخضوع والافتقار لله جل جلاله... وأحب القلوب إلى الله سبحانه قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة وملكته الذل، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه لا يرفع رأسه إليه حياءً وخجلاً من الله، قيل لبعض العارفين: أيسجد القلب؟ قال نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء... وإذا سجد القلب لله تعالى هذه السجدة العظمى سجدت معه جميع الجوارح، وعنا الوجه حينئذ للحي القيوم وخشع الصوت والجوارح كلها وذلل العبد وخضع واستكان)²⁰⁷.

وأما بالنسبة للخوف والرجاء: فإن مدار سير القلوب إلى الله تعالى فيها يكون حسب المحبة، لأن كل محب راج خائف ولهذا فالقلب في سيره إلى الله تعالى بمنزلة الطائر، المحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران ومتى فقد أحدهم فهو عرضة لكل صائد وكاسر.²⁰⁸

وقد أخبر تعالى: (عن خواص عباده الذين كان المشركون يزعمون أنهم يتقربون بهم إلى الله تعالى بأفضل أحوالهم ومقاماتهم من الحب والخوف والرجاء)²⁰⁹، فقال تعالى: ﴿

﴿

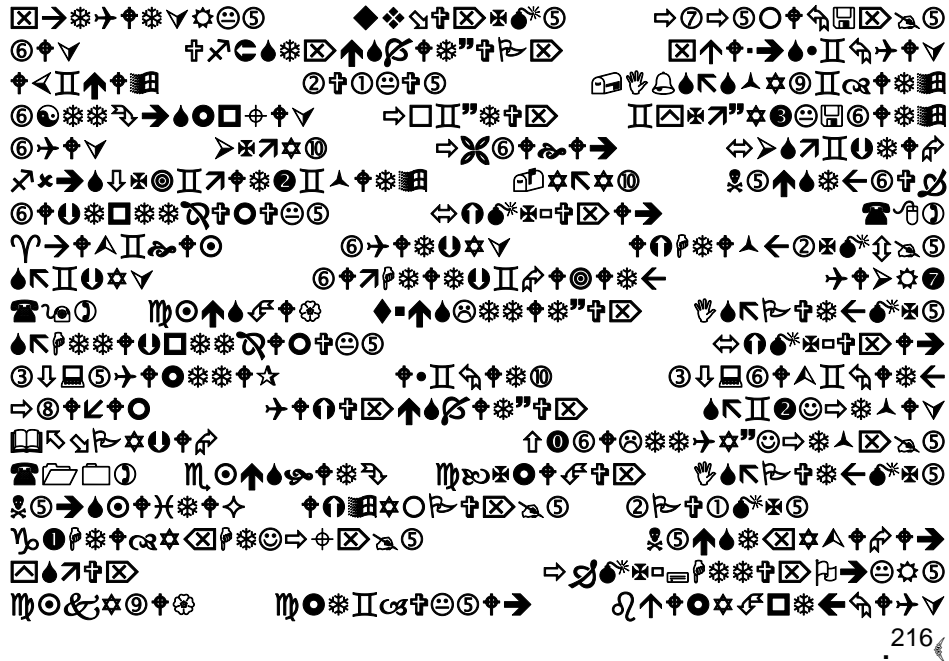
﴿

207 مدارج 474/1.

208 انظر: مدارج: 570/1 ، 44/2 ، 46.

209 المرجع السابق: 45/2.

210 سورة الإسراء: 56 - 57.



ففي الآيات السابقة (أخبرنا الله عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة إلا من رحم الله من عباده المؤمنين، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له بأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل وكفر وجود لماضي الحال، كأنه لم يرج فرجاً، وهكذا إذا أصابته نعمة بعد نقمة "ليقولن ذهب السيئات عني" أي ليس بعد هذا ضيم ولا سو "إنه لفرح فخور" أي فرح بما في يده بطر فخور على غيره، "إلا الذين صبروا" أي في الشدائد والمكاره "وعملوا الصالحات" أي في الرخاء والعافية "أولئك لهم مغفرة" أي بما يصيبهم من الضراء "وأجر كبير" بما أسلفوه في زمن الرجاء) 217 كما جاء في الصحيحين (والذي تقسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سرء فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر كان

216 سورة هود: 8-11.

217 تفسير القرآن العظيم لابن كثير 541-540/2.

- 2- الأعمال عند أهل السنة والجماعة من الإيمان ويحصل بها التفاوت بين الأمة واليقين هو التصديق والتصديق من الإيمان والتصديق الذي لا يكون معه عمل ليس إيماناً البتة بل هو كتصديق فرعون واليهود وإبليس وهذا ما أنكره السلف على الجهمية.
- 3- إن القرآن الكريم وصف المؤمنين بالصدق والمنافقين بالكذب لأن الطائفتين قالتا بألسنتهما أماناً فمن حقق قوله بعمله فهو مؤمن صادق ومن قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب منافق.
- 4- إن مرجئة الأحناف كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها ولم يكن قولهم في الإيمان مثل قول جهم لأنهم عرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمناً إن يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه وعرفوا أن إبليس وفرعون كفار مع تصديق قلوبهم لكن إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم وإن أدخلوها فيه لزمهم دخول أعمال الجوارح فإنها لازمة له.
- 5- إن ركائز العبادة الصحيحة ثلاثة وهي الحب والخوف والرجاء فالمسلم الذي أحب الله وأحب فيه لا بد أن يصاحب محبته ذل وانكسار وخضوع وافتقار لله جل جلاله ولهذا يكون ممن يحذر الآخرة ويرجو رحمة الله فالخوف مستلزم الرجاء والرجاء مستلزم الخوف.
- 6- إن المسلم الذي جمع بين الخوف والرجاء استثناه الله تعالى من أصحاب الصفات الذميمة الذي أخبرنا الله تعالى بها في بني جنسه ممن لم يجمع بين ذلك آلا وهي القنوط واليأس من رحمة الله إذا أصابته مصيبة أو مسه ضرر أو الأمن من عذابه إذا أذاه الله النعمة.

المراجع

- [1] الأشعري، أبو الحسن، الإبانة عن أصول الديانة . ط 2، الجامعة الإسلامية، 1405هـ،
- [2] الجعفي. لإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد. تحقيق: أسعد تميم، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية. 1405هـ.
- [3] إعداد نخبة من العلماء، أصول الدين في ضوء الكتاب والسنة، وزارة الشؤون الإسلامية، المدينة المنورة، د.ت.
- [4] ابن تيمية. العبودية، جدة: مكتبة المدني، 1398هـ.
- [5] الحكمي، حافظ. أعلام السنة المنشورة، تحقيق: حازم القاضي، ط2، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، 1420م.
- [6] ابن تيمية. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. تحقيق: ناصر عبدالله العقل، ط 4، الرياض: مكتبة الرشد، 1414هـ، 1994م.
- [7] النيفر، محمد الطاهر. أهم الفرق الإسلامية، الشركة التونسية للتوزيع، د.ت.
- [8] ابن تيمية. الإيمان، خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني. ط4. بيروت: المكتب الإسلامي، 1413-1993.
- [9] النسفي، أبو المعين. تبصرة الأدلة، تحقيق: كلود سلامة، 1990م.
- [10] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الرياض: دار عالم الكتب.
- [11] نمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين حيدر، ط 11، مؤسسة الكتب الثقافية، 1407.
- [12] ابن عبدالبر، عمر بن يوسف، التمهيد لما في موطأ مالك من المعاني والاسانيد، تحقيق: مجموعة من المحققين. نشر وزارة الأوقاف المغربية.
- [13] الماتريدي، أبو منصور. التوحيد، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، د.ت.
- [14] الخليلي: أحمد بن حمد. الحق الدامع. 1409هـ.
- [15] شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، د.ت.
- [16] عبدالجبار القاضي. شرح الأصول الخمسة، حققه وقدم له: د. عبدالكريم عثمان. ط3. القاهرة: مكتبة وهبه، 1416هـ / 1996م.
- [17] البغوي، الحسن بن سعود. شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش. ط 2، المكتب الإسلامي، 1403هـ.

- [18] التفتازاني، سعد الدين. شرح العقائد النسفية. تحقيق: كلود سلامة، د. ت.
- [19] الحنفي، ابن أبي العز، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية. تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة. ط2، الرياض: المعارف، 1407هـ / 1996م.
- [20] الجرجاني. شرح المواقف في علم الكلام. تحقيق: د. أحمد المهدي. مكتبة الأزهر، د. ت.
- [21] الأجرى. الشريعة، تحقيق: محمد حامد فقي، لاهور: أنصار السنة النبوية، د. ت.
- [22] أبو طامي، أحمد بن حجر. العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية. قطر: 1415هـ.
- [23] الجويني، العقيدة النظامية، تحقيق: أحمد حجازي السقا، قطر: 1415هـ.
- [24] الجويني. العقيدة النظامية، تحقيق: أحمد حجازي السقا. مكتبة الكليات الأزهرية، 1398هـ.
- [25] ابن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تصحيح الشيخ: عبدالعزيز بن باز، ومحب الدين الخطيب. السلفية، 1380هـ.
- [26] ابن حزم. الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة: دار السلام العالمية، د. ت.
- [27] أبو حنيفة. الفقه الأكبر، شرح: ملا علي القاري، مصر: التقدم، 1323هـ.
- [28] مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
- [29] الأصبهاني، أبو القاسم. المحجة في بيان الحجة، تحقيق: محمد ربيع المدخلي، الرياض، دار الراية، 1411هـ.
- [30] ابن قيم الجوزية. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: أحمد فخري وعصام فارس. بيروت: دار الجبل، د. ت.
- [31] ابن منظور. لسان العرب، بيروت: دار صادر، بيروت، د. ت.
- [32] المقدسي، موفق الدين. لمعة الاعتقاد. تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط. ط2، دار البيان، 1391هـ.
- [33] الأصفهاني، الراغب. المفردات، تحقيق: سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة.
- [34] الأشعري، أبو الحسن. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين. بيروت: المكتبة العصرية، 1411هـ، 1990م.
- [35] الشهرستاني. الملل والنحل. تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة، د. ت.

The Classical Muslim View on the Real Nature of Believe and a Critical Appraisal of the Opinions of Their Opponents

Haya Al-Ashekh

Assistant Professor; Department of Islamic Studies,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received 22/11/1424H.; accepted for publication 28/3/1425H.)

Abstract. The Muslim theologians have differed with regard to the issue of the real nature of belief into three positions, a moderate and two extremes. The classical Muslim view is that belief consists of three components: believing in the heart and utterance by the tongue and actions. They also believe that it can increase and decrease. As a result they do not accept that every sin could lead to rendering Muslim to be non-Muslim, in the same time they do not rule out *takfir*. This is the view of Ahl Al-Sunnah which is the moderate position with regard to belief. The two extreme positions in this issue are represented by Al-Khawarij and Al-Mutazila from one side and by Al-Murji'ah by the other.

Al-Khawarij and Al-Mutazila agreed with Ahl Al-Sunnah on the fact that it is composed of three components, as clarified before, but they were of the view that belief does not increase or decrease. This led Al-Khawarij to believe that sin rendered Muslim to be unbeliever, and Al-Mutazila were of the view that sins render the believer to a state between belief and infidelity, the punishment for which is that the sinner will be cast in hell forever.

The other extreme position in this issue is that of Al-Murji'ah who consists of three groups: Al-Jahmiyyah, Al-Karramiyyah and Murji'ah Al-Fuqaha. Al-Jahmiyyah claimed that belief is a mere heartily knowledge and this is why they were pronounced by Al-salaf, such as Waki' ibn Al-Jarah, Ahmad ibn Hanbal and Abu 'Ubayd, to be infidels. Whereas Al-Karramiyyah asserts that utterance by the tongue is the only needed component for belief. It is well known that whoever his words contradict his belief he is a hypocrite.

Murji'ah Al-Fuqaha have differed in this issue. Some of them defined faith as believing in the heart and utterance by the tongue only. Others, among them, defined faith as believing in the heart. Although this group did not totally agree with those who were of the view that belief is a mere heartily knowledge, their ideas encouraged the sinners to disobey God and commit sins.

